

الإمام والامامة في القرآن الكريم

الامامة مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: (أَمَّهم وأَمَّ بهم: تقدمهم، هي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره

ويقول ابن منظور: (الإمام: كل من أتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا (ضالين.. والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له).

وقال صاحب (تاج العروس): (والإمام: الطريق الواسع، وبه فُسِّر قوله تعالى: وَإِنَّهُمَا (لِإِمَامٍ مُّبِينٍ [سورة الحجر: ٧٩] أي: بطريق يُؤم، أي: يقصد فيتميز

الى غير ذلك من المعاني المتقاربة

اما الامامة اصطلاحا: فهي وان اختلفت في الالفاظ الا انها متقاربة جدا من حيث المعنى وسنذكر بعض التعريفات للإمامة بحسب اراء العلماء

عرفها المارودي بقوله: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)

وعرفها النسفي في عقائده(نيابة عن الرسول عليه السلام في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الاتباع)

ويقول صاحب (المواقف)(هي خلافة الرسول - صلى الله عليه واله وسلم - في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة)

أما ابن خلدون فيقول (فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)

وفي شرح الباب الحادي عشر للمحقق الحلي في فصل الإمامة قال: رئاسة عامة في امور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص نيابة (خلافة) عن النبي ﷺ

ذكرت الامامة في العديد من الآيات منها:

قال تعالى : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ { سورة البقرة: ١٢٤

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)

وتبين الآية الكريمة ما يلي:

اولا: إن إبراهيم عليه السلام كان نبياً قبل ولادة أبنائه(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)و حكا سبحانه عن زوجة إبراهيم: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ).

ثانيا: إن ابراهيم صار اماما بعد ان صارت لديه ذرية ودليل ذلك أنه طلب الإمامة لذريته.

وهنا يثبت ان الإمامة عهد من الله سبحانه و منصب إلهي لمن يشاء من عباده وليست من تنصيب البشر ولا من الشورى.

والامامة لا ينالها الظالمين وهي محصورة في ذرية { قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. }

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)} -السجدة-

وتبين الآية الكريمة ما يلي:

اولا: الامامة منصب إلهي وذلك أنها جعل من الله سبحانه فليس لأحد من البشر دخالة في تعيين الإمام فلا هي شورى ولا هي تعيين بشري.

ثانيا: أن وظيفة الإمام هي الهداية بأمر الله سبحانه.

ثالثاً: أن من صفات الإمام التي أهلتها لهذا المنصب الإلهي هو الصبر واليقين.

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

وتبين الآية ما يلي:

أولاً: أنّ هذا الخليفة أرضي، وهو موجود في كلّ زمان، والدال على ذلك قوله: (جَاعِلٌ) لأنّ الجملة الاسميّة، وكون الخبر على صيغة (فاعل) التي هي بمنزلة الفعل المضارع، تفيد الدوام والاستمرار.

ثانياً: إنّ هذا الخليفة ليس هو مطلق الإنسان فيكون من قبيل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وإنما المقصود به إنسان بخصوصه، وذلك بقرينة الآيات اللاحقة التي أثبتت أنّ هذا الموجود الأرضي إنّما استحقّ الخلافة الإلهية لآلِهِ (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، ثم صار واسطة بينه تعالى وبين ملائكته (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) ومن الواضح أنّه لا يمكن أن يراد به كلّ إنسان حتّى أولئك الذين عبّر عنهم القرآن الكريم (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

ولقد ورد مصطلح الإمامة في اثني عشر مورداً، تأمل قوله تعالى:

(وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَاننقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩))

"الحجر."

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ

(١٢)) "يس."

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤))"البقرة."

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧))"هود."

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا

(٧٤))"الفرقان."

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا وَبُشِّرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٢))"الاحقاف."

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا

يُظَلَّمُونَ فِتْنِيًّا (٧١))"الاسراء."

(وَإِنْ نَكُنُوا أَيَّمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٢))"التوبة."

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣))"الانبياء."

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١))"القصص."

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤))"السجدة."

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

(٥))"القصص."

بعد استعراض الآيات الكريمة لعل من المفيد تصنيفها حسب استعمالاتها ومدلولاتها،

ويمكن هنا ان نسجل الملاحظات التالية:

أولاً: ورد المصطلح بصيغة المفرد "امام" في سبع آيات، وفيها:

أ. ورد مرتين بتكرار الصيغة نفسها وبالمعنى ذاته، في:

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)) "الحجر".

(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)) "يس".

والامام هنا بمعنى السجل الذي يحيط باعمال الانسان ويحتويها.

ب . ووردت كلمة "امام" في صفة كتاب موسى عليه السلام، ومكررة بالصيغة نفسها،

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (١٧)) "هود".

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (١٢)) "الاحقاف".

والامام هنا بمعنى الكتاب المنسوب الى شخص، والذي يحتل موقع الارشاد والهداية.

ج . ووردت بصيغة إمامٍ للناس مكررة مرتين ايضاً، في:

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (٧١)) "الاسراء".

(قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (١٢٤)) "البقرة".

وكلمة الناس عادة في القرآن الكريم تعني عامة المجتمع، وقد تعني في موارد

مخصوصة المجموعة المقابلة للمجتمع المؤمن.

د . وجاءت مرة واحدة مقرونة بالمتقين: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)) "الفرقان".

وفي كل هذه الموارد جاءت كلمة (الامام) بمعنى الجهة التي يقتدى بها وتُتبع، ولها

موضع الارشاد والتوجيه وما يتطلبه هذا الموقع من متطلبات.

ثانياً/ اما بصيغة الجمع فقد وردت الكلمة (الائمة) في خمس آيات، وتحت عنوانين

هما: ائمة هدى، وائمة كفر، فقد وردت:

أ. ائمة الكفر و(ائمة يدعون الى النار)، فالائمة هنا هم المعروفون بالكفر والداعون

اليه، وهم رؤوس المواجهة ازاء الايمان، واعدائه، ولهم موقع القرار والقيادة، في آيتين

كريمتين:

ب . (ائمة يهدون بأمرنا) في آيتين اخريين ايضاً، وهم بحسب الآيتين يتمتعون

بخصوصيات ومقامات، فهم يهدون بأمر الله، ويوحى اليهم فعل الخيرات، وهم من

العباد والمقيمين الصلاة، وفي الدرجة العليا من المعرفة، وهم من الموقنين وهم من

الصابرين.

ج . (الائمة الذين يرثون الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها) مرة واحدة، اما وراثة

الارض فقد وردت في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، هذه واحدة منها.

١- ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقَ تُوَفِّكُونَ ﴿١٥﴾ الأنعام: ٩٥

٢- ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

﴿١٦﴾ الأنعام: ١٠٢

٣- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يونس: ٣

٤- ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

مُسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

﴿١٣﴾ فاطر: ١٣

٥- ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي

تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ الزمر: ٦

٦- ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُوَفِّكُونَ ﴿٦٢﴾ غافر: ٦٢

٧- ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ غافر: ٦٤

٨- ﴿ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

الشورى: ١٠

إثبات وجود الله من خلال المنطق (١) :

دَلَّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّرْعُ وَالْفِطْرَةُ وَالْعَقْلُ.

فَأَمَّا أَدِلَّةُ الشَّرْعِ فَكَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

(١) التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف: ١٠٢

يَطْلُبُهُ حَنِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: ٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ [يونس: ٣].

لقد انطلق ابن سينا من نقطة البداية لإثبات وجود الله: من مفهوم أن الوجود
للأشياء إما واجب بذاته، أي مالا يمكن تصور عدمه، ولو تصورنا عدمه لوقعنا في
التناقض والمحال، وإما جائز الوجود أو ممكن الوجود، فأما واجب الوجود فهو الله
سبحانه، وأما ممكن الوجود فهو مخلوقاته التي لا يترتب على عدمها عدم ومحال.

... وجاء ابن رشد الفيلسوف ففضل لإثبات وجود الله الطريق التي تؤخذ من القرآن،
فاستخرج دليلين هما: دليل الاختراع أي خلق الأشياء وإحداثها، ودليل العناية وهو
ملاءمة ما على الأرض كلها لحياة الإنسان واستمرار الحياة.

ما يجعل البشر يشعرون بوجود الله، أو ما يعتبرونه قوة عليا، هي الغريزة البديهية،
سواء أتبعوا وحي نبوي لتوجيههم أم لم يتبعوا. وقد ظهر التعبير اللاتيني *sensus*
" *divinitatis* الإحساس بالإله" في الثقافات والأديان في شتى أصقاع العالم، على
ما يبعدهما من شطح البون من حيث الزمان والجغرافيا واللغة. ومرد ذلك -من
الناحية الروحية الإسلامية- إلى العهد الأولي الذي اتخذته الله على نفسه قبل بدء
الخليقة بأن يتعرف كل بشري على خالقه.

قال الله تعالى:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ 2.

وعلق السدي (٧٤٥م) على هذه الآية قائلا: " فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه: {إنا وجدنا آباءنا على أمة 3. {إن العهد الأولي هو ما يثير الفطرة بداخل الناس للبحث عن قوة عليا والتي بإمكانهم أن يشعروا بها، كما فعلوا ذلك بشكل أو آخر على مدار حقب التاريخ المدون كافة، إلى الحد الذي دفع بعض العلماء إلى القول بأن الاعتقاد بالله أو قوة عليا متأصل في جيناتنا 4.

ولذا فإن جميع الديانات الحقة تؤكد وتتفق مع الطبيعة البشرية في أن الإيمان بوجود خالق هو أمر راسخ بداخلنا. حيث يشير القرآن إلى الطبيعة الدينية الإنسانية بفطرة الله، ألا وهي التصرف الغريزي المتأصل الذي ينص على أن الذي خلق البشر إنما هو الله.

قال الله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ 5

وقد جُبل جميع البشر مذ أن ولدوا على الإيمان بالله، وجاء وحي الأنبياء ببساطة ليوقظ ويعزز تلك النزعة الموجودة بداخلنا بالفعل. حتى أولئك المشركين، الذين يؤمنون بآلهة وأرباب متعددة، غالبا ما يعتقدون في أن هناك قوة عليا، وإله يسودهم.

قال الله تعالى:

ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون6

وقال تعالى:

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون7

ولما كان بإمكان جميع البشر إدراك وجود قوة عليا، لذا تراهم يلتجئون إلى الله في أوقات الشدة. وعليه ترى أن هناك مرحلة في حياة جمع البشر يمرون خلالها بتجربة عصبية تجعلهم يلجأون إلى الصلاة كنتيجة طبيعة لها. فهناك العديد من الحالات التي واجه أصحابها الموت ما جعلهم أكثر وفاء لتقاليدهم الدينية.

قال تعالى :

فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون8

وقال الله تعالى:

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون9

وقال تعالى:

وإذا مس الناس ضرر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون10

وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار 11

ويصف الغزالي (١١١١م) في سيرته الذاتية، النزعة الدينية الفطرية -التي اختبرها بذاته- كحاجة تدفع الناس

"للبحث عن حقائق الأمور إلى المعرفة 12". كما يصف هذا التشوق الروحي لمعرفة الحقيقة باعتباره "الظماً (التعطش) الذي يجب إروؤه. هو الخواء والفراغ المستوطن بالقلب، والانزعاج من فكرة العيش، والذي يجب سده باكتشاف المعنى والغرض من وراء الحياة. وعلى الرغم من أن المنطق هو أداة هامة لإثبات الإيمان بالله، إلا أنه لا يزال أولى خطوات المسار الروحي: " ووراء العقل طور آخر تتفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل، وأموراً آخر 13".

وتكمن معرفة الله في المقام الأول بالقلب ويدعمها المنطق، ولكن لا يمكن تحقيقها وترسيخها بالمنطق وحده. فينبغي وجود تجربة دينية أصيلة، واعتراف بوجود غاية ومعنى أسمى للكون، وتذوق للحلاوة الروحية. لذا فإن علماء الإسلام الأوائل حددوا معرفة الله ليس على أنها مجموعة من الحقائق والحجج، بل بالأحرى كضوء يكمن في القلوب. فقال إمام مالك (٧٩٥م): " ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب 14". وقال ابن رجب (١٣٩٣م) "فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف به في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل".

الآيات الأمرة بوجوب النظر في معرفة الله تعالى

١- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ

النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ الأعراف: ٥٤

٢- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يونس: ٣

٣- ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكَاوِتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ

أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ الأعراف: ١٨٥

٤- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ق: ٦

٥- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوهُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾

النحل: ٤٨

٦- ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ النحل: ٧٩

٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا

رَيْبَ فِيهِ فَبِأَيِّ الظَّالِمُونَ لَّا كُفُورًا ﴿١١﴾ الإسراء: ٩٩

٨- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ الشعراء: ٧

٩- ﴿الْمَرِيْرُوْا اَنَا جَعَلْنَا اَلَيْلَ لَيْسَكُنُوْا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴿٨٦﴾

النمل: ٨٦

١٠- ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اَللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴿٣٧﴾ الروم:

٣٧

١١- ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَا نَسُوْقُ الْمَآءِ اِلَى الْاَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ مِنْهُ زَرْعًا تَاْكُلُ مِنْهُ اَنْعَامُهُمْ وَانْفُسُهُمْ

اَفَلَا يَبْصُرُوْنَ ﴿٢٧﴾ السجدة: ٢٧

دلالة المخلوقات على الخالق، من خلال القرآن الكريم:

أولاً: دلالة الخلق والإيجاد والاختراع بعد العدم

إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدثها بعد أن لم تكن، يدل بدهاءة على وجود من أوجدها وأحدثها..

وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك، بل إن ذلك غير ممكن كما قال عز وجل: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُنْزِلُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف: ٥١.

ومما يدل على أن وجود الخلق دليل على وجود الله سبحانه عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۚ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ﴾ الطور: ٣٥، ٣٦. وقال عز وجل: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) مريم: ٦٧. فدللت الآيات على حاجة المخلوق إلى خالق ضرورة..

ثانياً: دلالة العناية المقصودة بالمخلوقات

قال عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۚ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ النبا: ٦-٨.

وقال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا
وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان: ٦١.

وهذه العناية المقصودة ماثلة في العالم كله، فإذا نظر الإنسان إلى ما في الكون من الشمس والقمر وسائر الكواكب والليل والنهار، وإذا تأمل في سبب الأمطار والمياه والرياح، وسبب عمارة أجزاء الأرض، ونظر في حكمة وجود الناس وسائر الكائنات من الحيوانات البرية، وكذلك الماء موافقا للحيوانات المائية، والهواء للحيوانات الطائرة، وأنه لو اختل شيء من هذا النظام لاختل وجود المخلوقات التي هاهنا.

إذا تأمل الإنسان ذلك كله؟ عِلْمٌ عِلْمٌ اليقين أنه ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة التي في جميع أجزاء العالم للإنسان والحيوان والنبات بالاتفاق، بل ذلك من قاصد قصده، ومريد أراحه، وهو الله سبحانه، وعلم يقيناً أن العالم مصنوع مخلوق، ولا يمكن أن يوجد بهذا النظام والموافقة من غير صانع وخالق مدبر.

ثالثاً: دلالة الإتيان والتقدير

قال عز وجل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ
اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨.

وقال عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ
مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ الملك: ٣.

وقال عز وجل: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن
طِينٍ﴾ السجدة: ٧.

فهذه الآيات وأمثالها تلفت نظر المستدل إلى دلالة المخلوقات على باريها، من خلال ما يشاهد فيها من الانضباط والالتزام التام بنظام في غاية الدقة، ما كان له أن يوجد على هذه الحال دون قيم ومدبر، وفي هذا أعظم دليل على بطلان الخرافة القائلة بحدوث العالم عن طريق المصادفة ..

رابعاً: دلالة التسخير والتدبير

إذا نظرنا إلى هذا العالم وجدناه بجميع أجزائه مقهوراً مسيراً مدبراً مسخراً، تظهر فيه آثار القهر والاستعلاء لمسيره ومدبره، وتتجلى فيه

شواهد القدرة لمُخضعه ومذله سبحانه، بما لا يدع مجالاً للشك في وجود مدبر يدبره وقدير يمسك بمقاليده، كما قال عز وجل: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الزمر: ٦٣.

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل: ٧٩.

-بتصرف-